العدد (١٧٠) - الخميس - ٥/٨/٢٠٠٤

شهادات
TESTIMONIAL
11

معشر (الطارقين) في (المدى):

# أنصت إلى مطارقكم بحب

سرمد الطائي

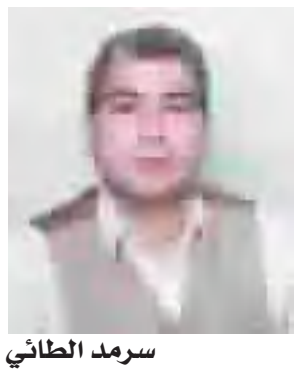

سرمد الطائي

منذ مطلع ٢٠٠٣ بتنا واثقين من تغيير النظام السياسي في العراق، الا ان مخاوف جادة بدأت تساورنا فيما يتصل بظهور صدام آخر بعد الاطاحة بالنسخة الاولى التقليدية.

كثيرا ما تصل سذاجة الكاتب الى حد يجعله يصدق بأن نصوصه سيف سحري في وسعه تغيير موازنات الكون والتعامل الحاسم مع مخاوف كهذه. ربما كان النجار ايضا يعتقد ان مطارقه ومساميره تغير صورة الكون ومنطقه. اندفع كثيرون، منهم كاتب السطور الى الكتابة الغزيرة للحؤول دون ظهور صدام آخر في العراق، لكن ما جدوى ان تنشر في طهران او لندن، او تملأ الدنيا زعيقاً في بيروت والقاهرة في تفكيك منطق الرعاة البدائيين وطاقم الاقزام الرمادية؟ كتلة الدوافع الحالة هذه بكل طيش الشباب ومحنة النصوص المنفلتة، ستقود المرء الى الوقوع في غواية النشر داخل العراق. سمعنا عن مشاريع كثيرة رصدوا لها الملايين وقالوا انها ستدخل بيوت الناس من شلال كلي علي بك الى ابي الخصيب، وسرعان ما تبخرت هذه الاحلام السريعة ولم نر الا مبادرات اعلامية هزيلة لا تزال حتى اليوم (مع استثناء قليل) تجتر منطقا في وسعه ان ينتج نسخا جديدة من كابوس الدكتاتورية، لغزي المخيف.

هل حقاً انني لا اختلف عن ذلك النجار الذي يعبث بالمسامير ويقوم بحشرها في ما تبقى من اشجار الغابة معتقداً انه غير صورة العالم؟ الا يدور بخلد هذا المعتوه ان هستيريا الطبيعة قادرة على تفريخ مليارات البذور يومياً وغرس آلاف الغابات الجديدة التي تمنح العالم شكله القسري؟

لا ادري كيف نتخلص من هذه الدوافع النبوية التي تختزل حركة الكون في مواجهة مخاطر ((الشيطان)).

كنا في نضالنا ((النبوي)) في مواجهة ((ابليس)) الدكتاتورية، نعد اللحظات انتظاراً لمشروع اعلامي يستوعب مساميرنا وأخشاب ابليس، انه توق الى دائرة تتوج التصاعد السردي لأسطورة الثنائية النضالية، هذا الميث الخرافي الكبير.

اطلق اعلاميون عراقيون تصريحات جديدة من لندن ودمشق وواشنطن، قالوا انهم ذاهبون الى العراق لتأسيس مشاريع اعلامية كبيرة، كان احدهم فخري كريم الذي تحدث عن اصدار جريدة تحمل اسم ((المدى)) في العراق، وهذا يعني تقديم خلاصة مكثفة لجهود مؤسسة ثقافية تفوقت على وزارات عربية في عدد اصداراتها، انه يعني انتقال جذوة عالم النشر وتقاليد الاعلام المتقدم (او هكذا يفترض) واندفاعات مجلة النهج وما تبقى من هادي العلوي وسعدي يوسف ومجلة المدى، وأنسجة عويل عراقي اتيح له ان ينطلق في المنافي بعد ان خنقه الداخل المحاصر.

بلغت في نيسان ٢٠٠٣ ذروة الخبل وقررت ترك اعمالي فجأة ومغادرة عشي الصغير الذي كنت انشأته لتوي في عالم ايران الملتبس. في آب الساخن وضعت قدمي على اول شبر عراقي في مخفر الشلامجة بعد ١٢ عاما على تسللي من النقطة ذاتها، وبينما اردت ان اصدق ما يجري كانت عيني على البصرة بما تعنيه من بيئة احتضنت طفولتي ومراهقتي وتوحدت مع صوت لأمي اختفى منذ زمن. لكن عيني الاخرى كانت على شارع ابي نواس في بغداد حيث قيل لي ان جريدة المدى بدأت تصدر في بيت يطل على دجلة. عين تبحث عن ميدان جديد يشبع رغبة نبوية لمقارعة اساطير ابليس واستكمال عملية تدوين لميثولوجيا المسامير والمطارق المتغطرسة. أهرب من ابليس في ايران وأصرخ بهستيريا في التنومة، أعمد الى ترتيل نيتشه ((الحقائق أوهام نسي الناس انها كذلك، مجازات تآكلت بعد طول استعمال)).

اردد كلماته التي وصفت طاعناً في السن امتلأ بالضجر ثم مات من كثرة الشفقة. الخطوة الاولى في بغداد هي البحث عن المدى العراقية التي ولدت في آب بعد ولادتها الدمشقية الاولى، كما هي ولادتي الجديدة بعد أعوام النفي، ظهوري الاختياري في عالم جديد بعد ٢٦ عاما على ظهوري النبوي. ولع لا يعجبه ان يدرك ان هستيريا التكاثر في الطبيعة المخبولة، لن يصيبها العقم، وستظل تنتج مليارات الاشياء على طريقتها هي، حتى لو تهشمت جميع مطارقنا.كلما كتبت تذكرت ان السطر الاخير في الكتابة عسير كالسطر الاول، مشاق البداية هي التي تحدد مشاق النهايات، هل لدى الطبيعة خيار سوى المضي في غلواء التكاثر الغامض؟ هل لديكم معشر الطارقين في المدى، خيار سوى إدمان الطرق (بفتح الطاء كذلك) الذي ما فتئت انصت إليه بحب؟ ليكن هذا سطري الاخير!

او ثلاثاً في الشهر، وسرعان ما انتبهت الى وجود مطارق اخرى تنقر بشكل متناغم، مطرقة في قسم الدراسات وأخرى في الثقافية، مطارق في اقسام التحقيقات والاخبار...الخ، واحدة مميزة تعيدني الى لحظة النقاء الاولى عند سهيل، مطرقة على غرار المنمنمات للدكتورة سلوى، وعبد الزهرة زكي يطرق دون ان تسمع بالضرورة قعقعة طرقاته.

في القسم الفني طرقات من لون آخر، ركام من المطارق ومثله من المسامير، يبلغ الايقاع ذروة صوفية. طرق (بفتح الطاء) على اشياء كثيرة بألحان متنوعة، مطارق تقليدية الى جوار مطارق من نوع آخر وبتقاليد تحاول ان تجد طريقها الى صورة جديدة، وفي لحظة الشطح الخاصة جدا، لا ادري كيف عملت في المدى، نقلت مساميري بين صفحات عدة، لكنني حين انتقلت الى عمل آخر للتعامل مع غواية جديدة لم استوعبها بعد، كنت لا ازال اطرح السؤال الازلي: كيف للنجار ان يكف عن الوهم بقدرته على تغيير شكل العالم؟ توقفت ملائكة السماء عن توزيع النبوات على اصفياء الآلهة، ولا زلت انا ضحية الهوس النبوي. ولع لا يعجبه ان يدرك ان هستيريا التكاثر في الطبيعة المخبولة، لن يصيبها العقم، وستظل تنتج مليارات الاشياء على طريقتها هي، حتى لو تهشمت جميع مطارقنا.كلما كتبت تذكرت ان السطر الاخير في الكتابة عسير كالسطر الاول، مشاق البداية هي التي تحدد مشاق النهايات، هل لدى الطبيعة خيار سوى المضي في غلواء التكاثر الغامض؟ هل لديكم معشر الطارقين في المدى، خيار سوى إدمان الطرق (بفتح الطاء كذلك) الذي ما فتئت انصت إليه بحب؟ ليكن هذا سطري الاخير!

# سنة من (المدى)

احمد السعداوي

احمد السعداوي

يوم كلفت، قبل عام من الان، بالتحقيق الاول لي في المدى، والذي كان عودة الحياة الى الاهوار عقب سقوط النظام، لم يدر في خلدي ان هذا التحقيق الذي دشنني مع المؤسسين للجريدة ، سيكون فاتحة ارتباط او شق مع الجريدة وكادرها العامل، ويكون كذلك مجرد خطوة اولى لحقتها خطوات كثيرة في عالم هذا الفن الصحفي المميز (التحقيق.. او الريبورتاج). وخلال عام، مررنا بأوقات صعبة وحرجة، واخرى اكثر استرخاءً واثارة، خصوصاً ان الايقاع النفسي كان يتجاوب مع الاحداث العامة، بحكم الصلة اليومية المباشرة مع الشارع والحدث، وبحكم احترام الواقع العراقي وكثرة تناقضاته وازماته.كان اللقاء داخل الجريدة، يخرج في بعض الاحيان من ضرورات العمل، الى النقاش حول المستجدات ورغم سعة كادر الجريدة الذي لم يتوقف عن النمو والزيادة حتى هذه اللحظة، الا ان البيروقراطية الادارية والتراتب الوظيفي لم تمنع ابداً ديمومة هذه النقاشات على هامش العمل، والتي تثري التصورات وتفعل الافكار.وذلك لسبب رئيس، ان الصلة ما بين العاملين في الجريدة، ابتداءً من رئيس التحرير وحتى (ابو رياض) عامل الخدمة، طابعها الصداقة والتآلف.التقويم المتبادل والسعي للاستفادة من الاخطاء، تواتراً بشكل ملفت في المحطات المهمة والاساسية لجريدة المدى، الانتقال من العدد الاسبوعي الى عددين ثم الى الاصدار اليومي، مجابهة فكرة اصدار ملحق متكامل وبالالوان في اقل من ٢٤ ساعة، وهذا ما حدث عشية القاء القبض على الرئيس العراقي المخلوع. اعداد فرق عمل كبرى والالتزام بخطط وبرامج بعيدة المدى، وغيره من نقاط التحري التي تجاوزتها المدى بنجاح واحتراف عالٍ.كان واحداً من التحريات الاساسية للمحررين في الجريدة، هو الدخول في الحدث وعدم التفرج عليه وهذا يعني انك قريب دائماً من احتمالات الخطر، واثار الوضع الاني السيء والامثلة على ذلك ما تعرض له الزميل سعيد عبد الهادي داخل مدينة النجف الاشرف في ذروة احترام الاحداث فيها، وكذلك مراسلنا في الناصرية، وزملاؤنا في قسم الاخبار.كل ذلك هو جزء من متعلقات العمل الصحفي، ومن الآثار الجانبية الطبيعية التي تلحق هذه المهنة الشاقة والمتعبة.

خلال سنة انبثقت صحف ومطبوعات كثيرة، بعضها اختفى ولكن، هناك صحف قليلة ومعدودة في نهاية المطاف هي التي تعتز المدى بالمقارنة معها، هذه الحقيقة التي يمكن لمسها من استجابات شرائح متفاوتة من القراء، وكذلك من خلال نسب التوزيع والتعليقات على ما يرد في الصحيفة من موضوعات.

وليس ادل على نجاح الجريدة..فوزها بثلاث جوائز كبرى في مهرجان بغداد للصحافة الذي اقامته كلية الاعلام ببغداد في ٢٥ من نيسان الماضي، حيث اخذت الجريدة كل جوائز التحقيق الصحفي، الذي يعد من وجهة النظر الاكاديمية اصعب الفنون الصحفية، وكذلك جائزة عن التقرير الصحفي، وجائزة رابعة تقديرية.ما اراه شخصياً، وربما يتفق زملائي معي في ذلك، ان كل ما انجزته المدى كحصيلة للدخول في النمطية والتكرار، وهذا ما لا يفكر فيه احد داخل الجريدة، خصوصاً ان الفضاء الاعلامي العراقي ما زال هلامياً وغير متشكل نحو تقاليد وسياقات واضحة، بالاضافة الى ان القارئ العراقي ما زال يعوزه الكثير من المفردات في ثقافته الاعلامية، وبما يؤهله للتفاعل الايجابي والمشاركة في قضاياه التي هي قضايا الاعلام في الوقت نفسه.تحية ذهبية كبيرة للمدى، مقسومة بالتساوي على عدد العاملين فيها، واخرى مشابهة لقراء المدى.

# مع (النادر) سهيل سامي

عبد الكريم العبيدي

عبد الكريم العبيدي

سأحاول، لأول مرة، أن اتحدث عن (مسؤول)، أن الج، وقد أغامر في ولوجي هذا، في ذلك الضيق الشاحب، المحصور بين التملق والوفاء، فأنا لم المس، في يوماً ما، حالة كهذه، ولذا صار نصيبي من الصمت يشبه نصيب غيري.. ففي الاعوام / القرون التي نهشتها الدكتاتورية، كان المسؤولون القذرون هم فراعنة صغاراً (ابدعوا) بشروط انتمائهم إلى فرعونهم الأكبر، وامتلكوا عن جدارة شروط قبولهم في ذلك الانحطاط المريب الذي اعفانا جميعاً من الحديث عنهم، ووهبه بسخاء إلى من هو اقبح منهم.

اليوم، يبدو إن الوفاء للمسؤول قد استعاد عافيته، وتسلل بصمت إلى نفوسنا، وبات من الملزم، في مناسبة أو من غير مناسبة، أن يتحدث به بعضنا، وأن يصدقه البعض الآخر، إن لم يكن الجميع.

قلت إنني سأغامر في ضيق شاحب ما بين التملق والوفاء، ولكنني أراهن على براءة ذمتي من التملق، واحسب ان الكثيرين إن لم يكن الجميع يدركون ذلك، يعرفونه عين اليقين، كذلك يعرف عين اليقين ايضاً، الكثيرون أو جميعهم إن (النادر سهيل سامي)) لا يحتاج إلى شهادة ولا إلى غيرها، هذا إن كان (النادر) (يحسب نفسه مسؤولاً اصلاً، من اولئك المسؤولين الكبار أو الصغار أو اشباههم!)

كما انني اراهن ايضا على حقيقة أولية وهي انني، إلى ما قبل عام، لم اكن اعرف هذا (المسؤول) ولم ألتقه، ولم أحاوره، وعندما اقترح علي صديقي الدكتور صفاء ابو سدير فكرة الانضمام إلى (المدى) قبل صدورها بعدة اسابيع، وأيده بحماس واضح الأخ عبد الزهرة زكي، لم يكن ذلك المسؤول على علم بانتمائي ولم يشترك فيه قط، بل على العكس، فعندما قدمني له اخي عبد الزهرة زكي في مقر الجريدة المؤقت عند مدخل شاعر فلسطين، واثنى بصدق على تجربتي الصحفية، لم يبد موافقته الصريحة، بل لم يظهر شيئاً على وجهه الدائري ذي الملامح الجامدة التي لا تفصح عن نياتها بسهولة!

جلست قبالته لأكثر من ساعتين، وظل هو يتفحصني (بحوارات وتساؤلات) مصحوبة بنصائح ناضجة ومطلية بمودة وكلمات محببة، واكتشفت، من اول وهلة، إنني أمام رجل ليس سهلاً كأسمه أو قصر قامته.

وافقت على العمل في (المدى) على مضض، كنت وقتها مسؤولاً عن الصفحة الثقافية في جريدة (الساعة)، ولم اكن اعرف احداً من كادر الجريدة، واجهل تماماً نياتها (العلنية والسرية) وسط موجة صحفية عارمة بدأت بصحيفة واحدة ولم تنته بعد.

كنت، قبل هذا، قد لفت انتباه الجميع بتقرير خبري (ساخن) قرأته في اول ندوة تعقدها لجنة المبادرة للحفاظ على الممتلكات الحضارية التي عقدت في المسرح الوطني بتاريخ ١٢/ ٥/ ٢٠٠٣، دعاني اليها الصديق صفاء ابو سدير فحضرتها لأفضح جريمة بعثرة اليورانيوم في الهواء والماء. بعد سرقة الحاويات ذات الاشعاع العالي من منظمة الطاقة الذرية أمام أعين جنود الاحتلال وبموافقتهم!!

لم اكن اعرف إن (النادر) كان من بين الحاضرين، وإنما اخبرني هو بذلك فيما بعد، قال: لقد لفت انتباهي وانتباه الجميع، وكان ذلك سبب موافقتنا على انضمامك الى الجريدة.

وهكذا تحولت أخيراً من (فكرة) إلى استحسان، ومن موافقة إلى اختيار، ثم بدأت (عملية البناء) الصعبة على يد ذلك (المسؤول القاسي)، الذي حبسني في (النظارة) وتبنى حراستي عن قرب، شاهراً سلاح المراقبة الدقيقة والمتابعة الدؤوبة وزحزحة (الجرح السري) للوصول إلى اضيق عزلة.

لم يشطب النادر سهيل سامي جملاً من كتاباتي حسب، بل قدم واخر، وغير وحذف واضاف، ثم ذهب إلى ما هو ابعد من ذلك، حبس كتاباتي في درج مكتبه وقفل عليه (بعناده المنظم).. كانت احدى عينيه (تتلمس صمتي داخل الجريدة)، فيما (تمضغ) الاخرى كتاباتي بسرية تامة.. كانت لعبة صامتة ولكنها مفضوحة.

ما الذي يريده ذلك (المسؤول العجوز) ولماذا هذه الحرب غير المعلنة؟!

بدأت أحصي الاسباب كلها، ابدأ من اصغرها، من اكثرها سذاجة، ثم اتدرج ببطء من واحد إلى آخر، حتى إذا ما وصلت إلى (العدم)، وهو ما يحصل كثيراً، عدت مرة أخرى إلى اصغر تلك الاسباب (وابلغها) سذاجة!

كان علي أن اختار واحداً من اثنين، إما ان التحق بجريدة أخرى وفق اعذار مريحة وسهلة، ثم ازاول في ظهيرات المقاهي لعبة (التأمل في الميتافيزقيا الاحباطية) أو أبلغ، بأحد (مشتقات عناد مسؤولي)، نقطة الرضا المفقودة.اخترت اولهما أوكدت، بعدما كسدت (بضاعتي) وظهرت اعشاب اللا جدوى في بقائي القلق، وحالما ادرك ذلك (مسؤولي) أمر باطلاق سراح كتاباتي كلها ونشرت تباعاً. لم تكن هذه (الالتفاتة السخية) تنم عن رضا مسؤولي، فوجهه المتجمد ازداد تكوراً او غلظة وبات من الصعب، اكثر من أي وقت مضى، إن يمنحني ملمحاً واحداً يدلل على استحسانه، تذكرت، وقتها (شعرة معاوية)، وايقنت تماماً إنني ما زلت بعيداً عن رضاه، وإن ما افعله لا يخرج عن اطوار اللعبة الصامتة، فقضيتي عنده ليست في (احتجاز الكتابة) أو نشرها، بل في معرفة واتقان تشغيل ماكنتي وادامتها في آن.. لقد انتهت فصول الفحص والمتابعة والتشخيص، وبات عليّ أن اتجاوز ظنوني وحيرتي، وأن اتطلع إلى تشريع كل وصاياه، وعرضها على مخيال تأملي الحر، فهذا (النادر) يقف دائماً في طرفي معادلة غامضة، ولا يقترب من وسطها ابداً، فاما أن (يحب) نصاً، فيحب كاتبه، أو (يبغض) نصاً، فيبغض صاحبه ايضاً!، وحين يحب النص، يحبس كاتبه في (النظارة)، ويحيطه بسيل من الوصايا والنصائح والمديح والهجاء والذم! ويظل قريباً منه، يصاحبه ويجالسه ويحاوره (ويصغره) نفسه كثيراً كي يشابهه، كي يبدو بحجم خريطة أوهامه وتأملاته، ولكنه لا يترك قشة (لصاحبه) إلا وازالها، ليدعه وحده يسبح في البحار المتخيلة التي صنعها له. فاذا ما اكتشف أن صاحبه قاوم تلك الامواج وعبر بعض البحار اطمأن اليه، وزاده بحاراً آخر، لتستمر لعبته الصامتة في هذيانها الجميل!

الكتابة برأي (النادر) لعبة وانتقالات واختيار واسترخاء وهذيان (ودقات باردة) على الخيال والواقع في آن، وهي خفة ومرونة وانزلاقات مرنة وسهلة، وتلاعب بالأقوال والحوادث والسير، ولا يريد لكاتبها أن يبصر في اللامرئي وهو الضال في هذا المرئي اللا نهائي، ولا أن تتحول إلى محنة وعسرة وشروح ومطبات وعقد، أنه يبحث دائماً عن كتابة هوائية / مائية، تحمل اثقل الافكار واوسع الخيالات، كتابة حية ماكرة تنفذ في قفزات وانزلاقات مرحة إلى متلقيها بهدوء، بلا معونة أو جهد، ولذلك تراه يحث صاحبه على اكتشاف نفسه، وعلى تدمير بنيته القديمة وتغيير آلية مخياله، يطالبه دائماً بالبحث عن استرخاء اكثر واقعية واكثر وضوحاً ويجبره في كل (جلسة) على فك اشتباك فكرته وعرضها بانسيابية تامة، ومضة اثر اخرى، داخل انارة متوهمة ومريحة.عندما كتبت (حكايات من داخل صالات المرمر) شعرت بذلك النوع من السرور إن لم يكن الفخر، وأدركت إنني تمكنت اخيراً من الفوز باثمن جائزة في حياتي، جائزة حسية غير متعقلة تمثلت بدمعتين صغيرتين انحدرتا سراً من عيني ذلك (النادر الكبير)، شعرت متأخراً إنني عبرت بحراً من بحاره، وأنزلت ومضات واضحة من فكرتي المعتمة، اطلقتها بخفة فنفذت إلى قلب ذلك (العنيد) الذي ناهز السبعين وما زال مستمراً في صناعة الكتابة وصناعة كتابها، ما زال يلهو بصمت بلعبته المفضلة، (لعبة الكتابة الهوائية).!!هل امتلأ النادر رضاً عن كتاباتي؟

كلا، وأرجو أن لا أكون مخطئاً!!

# طريق عبد الزهرة زكي

محمد الحمراني

محمد الحمراني

لأول مرة اتعرف على دار المدى حين قرأت رسالة من صديقي الشاعر عدنان الصائغ ٢٠٠٠ يخبرني بها بضرورة مراسلة مجلة (المدى) ونشر بعض المواضيع الادبية فيها كان ذلك بعد عام ١٩٩٥..بعدها قرأت مقالاً لكاتب مصري يقول فيها بأن مصر تحتاج الى اشخاص بحماسة (فخري كريم) ليقود مؤسساتها، بدأنا نتناول اسم مؤسسة (المدى) في مقاهي الهامش لما تنشره من كتب مضادة لسياسة نظام صدام.. لم اتخيل في حينها بأنني سأعمل في الصحافة في احد الايام وكل ما كنت احلم به هو ان اكتب رواية عن الاهوار، ولكن بعد سقوط النظام السابق عرفت بأن صديقي (احمد سعداوي) قد انتقل من صحيفة يعمل فيها الى جريدة المدى حيث كانت تلتقي نواتها الاولى في (مشتمل) بشارع فلسطين، اخبرني (سعدواي) بأنه يروم الذهاب الى العمارة لإجراء تحقيق عن الاهوار وتحدث لي عن المدى وعن الاسماء التي تشرف على الجريدة واقسامها، منذ تلك اللحظة احسست بأن (المدى) ستكون مشروعاً مميزاً في الصحافة العراقية واثناء الجلسة التقيت الشاعر عبد الزهرة زكي والقاص وارد بدر السالم اللذين كانت لهما رغبة جامحة في عمل جولة في المنطقة الجنوبية تبدأ من العمارة... كان بصحبتي صديق لديه سيارة من نوع (كوستر) اتفقنا ان يكون لقاؤنا قرب احد مقاهي باب المعظم وفي الساعة السابعة صباحاً، انطلقنا بجولة باردة في لهيب صيف ٢٠٠على امتداد الطريق خضنا في حوارات ثقافية وسياسية، ولكننا كنا نتفق على امل في بدء حياة جديدة، خاصة وان اغلبنا من الذين لم يغادورا البلد الا نادراً .. قلت في سري انه معنا بعد ان قلنا ربما قتل في سجن الدكتاتور.. الان هو معنا في الباص ويتحدث لنا عن مشروع جريدة (المدى)..لم يكن (سعداوي) يعرف شيئاً عن المهمة التي يقودها عبد الزهرة زكي في الجنوب..حين وصلنا الى العمارة..اخذت (سعداوي) معي الى البيت بينما فضل عبد الزهرة ووارد بدر السالم ان يستقرا في فندق الاعراس في اليوم التآخي عرفت بأن (ابو حيدر) يريد ان يكتب تحقيقاً عن المساعدات التي تصل الى البلد وفي احد الجلسات سألني عن احد الاصدقاء وهل هو موجود في العمارة؟ يومها لم يكن هذا الصديق موجوداً..احسست بأنه ربما يريد ان يكلفه في ان يعمل مندوباً في العمارة يومها كنت اعمل في صحيفة توزع في الجنوب فقط. امضى عبد الزهرة زكي ثلاثة ايام في العمارة... ثم غادر الى البصرة وبقى (سعداوي) معي، تنقلت معه في عدة اماكن وخضنا حوارات طويلة حول الصحافة الجديدة وفن التحقيق واهميته في فضح الكثير من الخفايا قال سعداوي:

(انه نوع من التفريغ حتى لا تتسلل هذه المواضيع الكبيرة الى اعمالنا الادبية....اعطاني مجموعة من التحقيقات التي نشرها في صحيفة التآخي وبدأت رحلتي مع قراءة التحقيقات والقراءة عنها ( بعد مرور اكثر من عشرين يوماً على مغادرة عبد الزهرة زكي العمارة، ذهبت الى بغداد وفي مقهى الجماهير كان الاصدقاء يتحدثون عن صحيفة جيدة ستصدر في بغداد اسمها (المدى) ويعمل فيها قاسم محمد عباس وسعيد عبد الهادي وحسين محمد عجيل.. اغلب هذه الاسماء كانت تعيش بعيداً عن المؤسسات البعثية وعملوا في مهن شاقة من اجل ان يحافظوا على نقائهم. في هذه الاثناء دخل الى المقهى عبد الزهرة زكي... تناول غداءه اليومي وشرب استكان شاي... شاهدني مع مجموعة الاصدقاء.. نادى عليّ وحين جلست قربه اخبرني بأنه في جريدة (المدى) وقع اختيارهم عليّ لأكون مندوبه في محافظة ميسان. لقد مضى على تلك اللحظة اكثر من عام.. في البدء كان سهيل سامي نادر... هو العمود الفقري الذي حملني الى عالم الصحافة... كان يؤشر العديد من الاخطاء التي ارتكبها ويكلمني بطريقة العارف بكل شيء ..العديد من الشخصيات المهمة في مدينة العمارة بدأت تتابع ما اكتب وبدأت تصلني رسائل من متتبعين لهم حضورهم في مدينة العمارة اليوم، انا اعتبر نفسي ما زلت في بداية الطريق فعام مع (المدى) يجعل الجهد يمتزج بالفرحة والاحلام تتناثر بين كم من الاصدقاء الذين احبهم.. ان الكتابة عن (المدى) الان بالنسبة لي مشابهة للكتابة عن نفسي.. على امتداد هذا العالم الجميل الذي مضى..كنت احمل بين يدي رزماً من الاوراق متحملاً عناء الطريق ومخاطره. احمل معي وصايا العائلة واتطلع الى كشف الكثير من الخفايا والاسرار التي رسمها نظام البعث على مدينة العمارة.. ان الذي يحتفظ بأعداد جريدة (المدى) خلال العام المنصرم سيجد بأنها كانت سباقة في كشف الكثير من الخفايا والاسرار التي خلفها النظام السابق وهذا ما حصل مثلاً مع كابونات النفط التي اثارت العالم ولكن ما اثارني هو زيارة رجل عجوز لبيتنا لأنني ذكرته من ضمن مجموعة الأسماء في تحقيق، استغربت لأن هذا الرجل الثمانيني كان مشتركاً في جريدة (المدى) انها لحظات جميلة ولكن اجملها تلك اللحظة، التي دعاني فيها الشاعر عبد الزهرة زكي للسير في طريق المدى.

# البحث عن الحقيقة ما بين حقول الالغام

حسين كريم العامل

ما بين العمل في الصحافة الملتزمة بالحقيقة والمشي ما بين حقول الالغام ثمة سبيل واحد قد يقود صاحبه للموت المحتم، ففي زمن ترتخي فيه قبضة القانون عن عنق المجرمين ويحتاج فيه رجل الشرطة نفسه لمن يحميه. في زمن كهذا لا اعتقد ان صاحب القلم الذي لم يتعلم بعد كيفية اطلاق النار يستطيع ان يحافظ على اتزانه وهو يمشي على جبل الواقع. جبل الواقع الذي قد لا يصل من خلالها على الرغم من المخاطر، الى الحقائق التي يبحث عنها.

★ ما بين الضحية والجلاد؟

-اذا كانوا يسمون الصحافة في اكثر البلدان امنا وديمقراطية مهنة المتاعب، فماذا يسمونها في بلد يحتاج فيه الشرطي الى حماية؟ في بلد خرج للتو من بين الانقاض وما زال الكثيرون من ابنائه يحتفظون بإرثهم من اسلحة الدكتاتور. وقد يطلقون عليك النار في اية لحظة تيمنا بمقولة (القائد) (لا تدع عدوك خلفك). ليست هذه المقدمة لتضخيم ما يواجهه الصحفي الملتزم من متاعب بل هي ايضاح لواقع لا يحتاج الى بوصلة للاستدلال على مساوئه الشاخصة للعيان. في فترة عملي القصيرة مع المدى التي لم تتجاوز العشرة اشهر صادفتني الكثير من القضايا والمواقف. قضايا كتبت عنها بكل اخلاص. لكني مع الاسف لم احظ برضى الضحية ولم اسلم في الوقت نفسه من غضب الجلاد، ففي احدى المرات مثلاً اتصل بي شقيق احد القتلى الذي نشرت خبر مصرعه ومصرع احد اطفاله على يد مجهولين، وعززت خبر مقتله بما شهدته المدينة من اعمال عنف استهدفت اصحاب محلات الـ C.D وباعة الخمور، اتصل بي وعبر عن غضبه لما كتبته ولم يهدأ الا بعد ان اوضحت له بأن غايتي من ذلك هو ان اجعل من مقتل شقيقه قضية عامة تدعو المجتمع للوقوف ازاءها كظاهرة سلبية تستحق الاهتمام. وفي حادثة اخرى وصل الامر بالبعض الى هدر دمي وتوزيع المنشورات التي تسيء الى سمعتي وتهاجم جريدة المدى، وقد حاول احد الضحايا في هذه المرة ان ينكر ما قاله لي بسبب التهديد لولا قرص الـ C.D الذي سجلته له ولبقية الضحايا. وهذه الحادثة على الرغم مما سببته لي من متاعب كبيرة الا انها حققت لي وللمدى الكثير من الاحترام وقد حدت بشكل كبير من تعذيب الاحزاب والمنظمات للمواطنين.

★ المدى صديقة المضطهدين

وقد سهلت علي ايضاً مهمة البحث عن المواضيع حتى صار الذين يشعرون بالحيف والغبن يبحثون عن المدى لتتبنى قضاياهم، او تكتب عن همومهم ومعاناتهم. وما اكثر التحقيقات التي كتبتها بناءً على طلب المواطنين. واذكر منها تحقيقاً عن مستشفى الولادة والاطفال، وتحقيقاً عن مدينة الصدر في الناصرية، وتحقيقاً عن حي المنصورية الذي عاتبني على نشره السيد مدير البلدية وطلب مني ان اعرض عليه المشاكل التي تصلني ليتسنى له معالجتها قبل اللجوء الى النشر. وكذلك قضية حرق الادوية والمساعدات في مستشفى الولادة والاطفال التي لولا نشرها في المدى لتمت (طمطمتها) حسبما قال لي مصدر مسؤول في لجنة الرقابة. هذا اضافة الى تبني قضايا المهجرين والمتضررين من الفيضانات وقضية تعرض اساتذة الجامعة والمعهد التقني للتهديد حتى قال لي رئيس الجامعة الدكتور رياضي شنته بالحرف الواحد:

- بماذا يمكن مكافأة المدى على هذا المجهود؟ وكانت الجامعة قبل هذا قد منحتني شهادة تقديرية على تغطيتنا لنشاطاتها. وكذلك فعل اتحاد كرة القدم في المدينة ورابطة الفرق الشعبية. وكان الاهم من هذا هو ان يمنح القارئ ثقته للجريدة وهو ما حصل فعلاً. فقد تزايد الاقبال على الجريدة وبدأت تنفذ قبل غيرها من الصحف اليومية، بفضل متابعتها للحدث وتوخي الدقة في نقل الاخبار حتى صار مراسلو بعض الصحف يسطون على ما ينشر فيها. ففي احدى المرات عاتبني عميد كلية الآداب جامعة ذي قار على نشر خبر خص به المدى وعثر عليه منشوراً في احدى الصحف، وبعد التدقيق وجدنا ان الخبر المنشور في تلك الجريدة سبق نشره في المدى قبل عدة ايام، وان الصحفي العتيد (لطشه) مع سبق اصرار.. ان عتب عميد الكلية وحرصه على نشر خبره في حريدتنا يقودني الى قسم الاعلام في مديرية الشرطة الذي يحرص منتسبوه كل الحرص على نشر نشاطاتهم في المدى ويتصلون لهذا الغرض، وكذلك مفتشية الآثار ومجلس المحافظة ودائرة العمل والمنظمات الانسانية ومنتسبو وزارة الصحة ودور الايتام وجمعية المعوقين وجمعية المتعاقدين، وعدد كبير من الاحزاب الديمقراطية والاسلامية، اضافة الى الكثير من المواطنين حتى غدت للمدى مكانتها في المدينة، فلم يصدر بيان او نشرة في الناصرية الا وكان للمدى نسختها الخاصة حتى ضاقت الخزائن والمجرات بهذه الوثائق التي يمكن للباحث ان يعد منها دراسة لمرحلة ما بعد صدام. فهنيئاً للمدى بما تحظى من ثقة واحترام وهنيئاً لنا نحن الذين تعلمنا من هذه المدرسة قول الحقيقة.